الحجُّ عرفة

يبدأ هنا يومٌ ليس كأي يوم في نفوس المسلمين، أعَدُّوا له العدة، وحَزَموا متاع الأماني، وهفَت الأرواح طمعًا لنيل الرحمات.

يوم عرفة هو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة، وسمي بذلك؛ لأن فيه ركنًا من أركان الحج، وهو الوقوف بعرفة. وقد أقسمَ الله به في كتابه العزيز، فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البروج: ١-٣].

وقد فسَّر النبي ﷺ ذلك فقال: (اليومُ الموعودُ يومُ القيامةِ، واليومُ المشهودُ يومُ عرفةَ، والشاهدُ يومُ الجُمُعةِ) صححه الألباني.

وهو من أفضل الأيام عند الله تعالى، فهو يومُ مغفرة الذنوب، والعتقِ من النار، والمباهاةِ بأهل الموقف، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: (ما مِن يَومٍ أَكْثَرَ مِن أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فيه عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِن يَومِ عَرَفَةَ، وإنَّه لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بهِمُ المَلَائِكَةَ، فيَقولُ: ما أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟) رواه مسلم.

وعن عمرَ بن الخطاب ﷺ أن رجلًا من اليهود قال: يا أميرَ المؤمنينَ، آيةٌ في كتابِكم تَقْرَؤُونها، لو علينا -معشَرَ اليهودِ- نَزَلَت، لاتَّخَذْنا ذلك اليومَ عيدًا، قال: أيُّ آيةٍ؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ قال عُمَرُ: "قد عَرَفْنا ذلك اليومَ، والمكانَ الذي نَزَلَتْ فيه على النبيِّ ﷺ، وهو قائمٌ بعَرَفةَ يومَ جُمعةٍ". رواه البخاري

ويومُ عرفةَ يشملهُ الفضلُ الذي ذكرهُ النبي ﷺ في أيام عشر ذي الحجة بقوله: (ما العمَلُ في أيَّامِ العَشْرِ أفضَلَ مِنَ العَمَلِ في هذه)، قالوا: ولا الجهادُ؟ قال: (ولا الجهادُ، إلَّا رجلٌ خرج يخاطِرُ بنَفْسِه ومالِه، فلم يرجِعْ بشيءٍ) رواه البخاري.

وصومهُ يَغفرُ اللهُ بهِ ذنوبَ سنتين: السنة الماضية، والسنة الآتية. فعن أبي قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (صِيَامُ يَومِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ علَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتي بَعْدَهُ) رواه مسلم.

وهذا الصوم يكونُ لغير الحاج؛ وأما الحاج فيُكره لهُ صيامُ يومِ عرفة؛ وذلك لأن الصوم في هذا اليوم يُضعِف الحاج عن الوقوف والدعاء، وأما غير الحاج فإنه مُخاطَب بهذا الحديث في الفضل والنوال من الله عز وجل.

أعمال يوم عرفة:

يُسَنُّ للحجاج أن يسيروا من منى إلى عرفةَ صباحًا بعد طلوعِ شمسِ يوم عرفة. فعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- في حديثه الطويل في صفة حجة النبي ﷺ قال: "فلما كان يومُ التَّرْوِية توجَّهوا إلى مِنًى، فأهلُّوا بالحج، وركِبَ رسولُ اللهِ ﷺ، فصلَّى بها الظُّهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ والفَجرَ، ثم مكث قليلًا حتى طلَعَتِ الشَّمسُ، وأمَرَ بقُبَّةٍ مِن شَعْرٍ تُضْرَبُ له بنَمِرةَ، فسار رسولُ الله ﷺ، ولا تشكُّ قريشٌ إلَّا أنَّه واقِفٌ عند المشعَرِ الحرامِ، كما كانت قريشٌ تصنَعُ في الجاهليَّةِ، فأجاز رسولُ الله ﷺ حتى أتى عَرَفة" رواه مسلم.

وعرفة كلها موقِف، إلا بطنَ عُرَنَة، وقد بُيِّنَت حدودُ عرفة بعلاماتٍ وكتابات توضِّحُ عرفة من غيرها، فمن كان داخل الحدودِ الموضحة، فهو في عرفة.

فإذا زالت الشمس، صلوا الظهر والعصر قصرًا وجمعًا بأذانٍ وإقامتين، عن جابر ﷺ قال: "ثمَّ أَذَّنَ، ثم أقام فصلَّى الظهرَ، ثم أقام فصَلَّى العصرَ، ولم يُصَلِّ بينهما شيئًا" رواه مسلم.

فيُصلي الحجاج الظهر والعصر قصرًا وجمعَ تقديمٍ في أول وقت الظهر، ثم يتفرغونَ للدعاء والتضرع والابتهال إلى الله تعالى، وهم في منازلهم من عرفة، ولا يلزمهم أن يذهبوا إلى جبلِ الرحمة، ولا يلزمهم أن يَرَوه أو يشاهدوه، ولا يستقبلونه حال الدعاء، وإنما يستقبلون الكعبة المشرفة.

قال جابر ﷺ: "ثُمَّ رَكِبَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ حتَّى أَتَى المَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ القَصْوَاءِ إلى الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ المُشَاةِ بيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا، حتَّى غَابَ القُرْصُ" رواه مسلم.

ويستمر الحاج في الدعاء، سواء دعا راكبًا أو ماشيًا أو واقفًا أو جالسًا أو مضطجعًا، على أي حال كان، ويختار الأدعية الواردة عن النبي صلى عليه وسلم والجوامعَ من الدعاء.
ولا يجوز له أن ينصرف من عرفة قبل غروبِ الشمس، فإن انصرف منها قبل الغروب، وجب عليه الرجوع، ليبقى فيها إلى الغروب، فإن لم يرجع، وجبَ عليه دم، لتركهِ الواجب، والدمُ ذبح شاة، يوزعها على المساكينِ في الحرم، أو سُبع بقرة، أو سُبع بدنة.

ووقت الوقوف يبدأ بزوال الشمس يوم عرفة على الصحيح، ويستمر إلى طلوع الفجر ليلةَ العاشر، فمن وقف نهارًا، وجبَ عليه البقاء إلى الغروب، ومن وقف ليلًا، أجزأه، ولو لحظة.

والوقوف بعرفة هو ركن من أركان الحج، بل هو أعظمُ أركان الحج، لقوله ﷺ: (الحجُّ عَرَفةٌ) صححه الألباني.

ويُسَنُّ للحاج أن يدفع بعد غروب الشمس إلى مزدلفة وعليه السكينةُ والوقار، فإذا وجد فجوةً أسرع، لقول جابر ﷺ: "فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا، حتَّى غَابَ القُرْصُ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حتَّى إنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، ويقولُ بيَدِهِ اليُمْنَى: أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ" رواه مسلم.

فينبغي السكينةُ والرفق عند الانصرافِ من عرفة، وألا يضايق الحاجُّ إخوانه في سيرهم، وأن يرحمَ الضَّعفةَ وكبار السن.
ويكونُ حالَ دَفْعِه من عرفة إلى مزدلفةَ مستغفرًا؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٩٩].

فإذا أتى مزدلفةَ يصلي بها المغربَ والعشاءَ جمعًا وقصرًا، ثم يبيتُ فيها حتى يطلعَ الفجر؛ لقول جابر ﷺ: "حتى أتى المُزْدَلِفةَ، فصلى بها المغرِبَ والعشاءَ بأذانٍ واحدٍ وإقامتينِ، ولم يُسَبِّحْ بينهما شيئًا، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسولُ اللهِ ﷺ حتَّى طَلَعَ الفَجْرُ" رواه مسلم.

فالسُّنة أن يبيتَ بمزدلفة إلى أن يطلع الفجر، فيصلي بها الفجر في أول الوقت، ثم يقف بها ويدعو إلى أن يُسْفِر، ثم يدفع إلى مِنى قبل طلوع الشمس.

فإن كان من الضَّعَفَةِ كالنساء والصبيان ونحوهم؛ فإنه يجوز له أن يتعجل في الدفع من مزدلفة، وكذلك من يلي أمر الضعفةِ من الأقوياءِ يجوزُ له أن ينصرف معهم بعد منتصف الليل، أما الأقوياء الذين ليس معهم ضَعَفَة؛ فلا يخرجوا من مزدلفةَ حتى يطلعَ الفجر، ويُصَلُّوا بها الفجر، ويقفوا بها إلى أن يُسْفِروا.

وينبغي على الحاج في يوم عرفة أن يجتهد في الدعاءِ والتضرعِ والتوبةِ في ذلك الموقف العظيم، وإن الدعاءَ لمن أجلِّ العبادات، وأعظمِ الطاعات، وأنفعِ القربات.

فكم من بلوى ومحنةٍ رفعها الله بالدعاء، وكم من مصيبة كشفها الله بالدعاء، وكم من ذنبٍ ومعصية غفرها الله بالدعاء، وكم من رحمة ونعمة ظاهرة وباطنة استُجلبت بالدعاء.

وقد أمر الله عز وجل عبادَه بالدعاء، ووعدهم الإجابة، متى أخلصوا لهُ الدعاء، وافتقروا إليه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

وإن خزائنَ الله تعالى ملأى لا تُنقِصُها نفقة، ولا يَكثُرُ عليها عطاء. والشأن كل الشأن في قيام العبد بمقام العبوديةِ والرجاء، وتحقيقهِ لحقيقةِ الدعاء، والإتيان به، كما أمر الله عباده أن يقوموا به، والتخلي من موانع الإجابة، وقواطع الطريق إلى الله تعالى.

وينبغي للعبدِ أن يُحسن الظن بالله تعالى؛ قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "فالذي وفقك لدعائه أولًا، سيمُنُّ عليك بالإجابة آخرًا، لا سيما إذا أتى الإنسانُ بأسبابِ الإجابة وتجنَّبِ الموانع، ومن الموانع: الاعتداء في الدعاء، كأن يدعو بإثمٍ أو قطيعة رحم".

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: "على المرءِ أن يُلِحَّ في الدعاء، ويحسن الظن بالله عز وجل، ويعلم أنه حكيم عليم قد يُعَجِّل الإجابةَ لحكمة، وقد يؤخرها لحكمة، وقد يعطي السائل خيرًا مما سأل".

فأين من يحسن الظن بالله تعالى؟

ومن أحسن الظن بالله.. أحسن العمل.